د. جليل كمال الدين

صلاح عبد الصبور ناقداً

يعد الشاعر المصري صلاح‌الدين عبدالصبور من انشط الادباء العرب واغزرهم انتاجا .

فقد كتب العديد من دواوين الشعر ، والمسرحيات الشعرية ، والمقالات ، والدراسات ، والتحقيقات ، وادب الرحلات . ومن‌دواوينه المشهورة « الناس في بلادي » و « اقول لكم » و « احلام الفارس القديم » وغيرها . وقد صدرت تباعا في الخمسينات والستينات . اما اشهر مسرحياته الشعرية فهي « مأساة الحلاج » ، التي عالج فيها موضوع حياة وجهاد واستشهاد الصوفي العربي الكبير ، المشهور بالحلاج . اما مقالاته ودراساته فقد توالت في مجلات « الشهر » و« الاداب » و « الكاتب » و « المجلة » ، كما نشر بعضها في جرائد « الاهرام » و« الجمهورية » القاهرية ، وقد جمعت هذه المقالات واضيفت اليها دراسات ومقالات اخرى ، فصدرت ، فيما بعد ، في كتابين هما « حياتي في الشعر » و « وتبقى الكلمة » .

* * *

والذي يهمنا هنا هو حقل النقد الادبي في نشاط عبدالصبور وابداعه الفني والفكري .

فعبدالصبور من الشعراء الذين يمكن تسميتهم بالشعراء النقاد، وهم عائلة كبيرة تمتد من كولدرج الى شلي الى ايليوت ومایاكوفسكي وناظم حكمت وتفاردوفسكي وتيخونوف وغيرهم .

وبالطبع ، فان النقد الادبي ، والبحث ، والدراسة الادبية مناطق ليست محرمة على الشعراء ، بل لعل الشعراء هم اولى الناس بارتيادها ، لارتباطها الذي يكاد يكون عضويا بابداعهم الشعري الحديث . فهم مهندسو الشعر ، ومبدعوه ، وهم من ينبغي ان نسأل ونستشير في مجال ابداعهم ، وان كان هذا لا يعني ، بالضرورة ، ان يكونوا هم المرجع الاوحد والافضل فيهذا الخصوص ، فالتفرغ للنقد الادبي والتخصص فيه شيء غير ممارسته كهواية ، او كنشاط ثان، او كمجال للتوضيح والتفسير .

* * *

يوضح عبدالصبور اصول منهجه النقدي ـ دون ان يفرد ذلك او يؤطره باطار مستقل ـ ،في الفصل الخامس من كتابه « حياتي في الشعر » .

فهو يرى انه رومانتيكي سابق ، وواقعي لاحق ، لكن بصمات الرومانتيكية فيه لم تزل بينة . ويقول في ذلك بالحرف :

« كنا قد خرجنامن‌عباءة المدرسة الرومانتيكية العربية ،بموسيقاها الرقيقة وقاموسها اللغوي المنتقى ، الذي تتناثر فيه الالفاظ ذوات الدلالات‌المجنحة ، والايقاع الناعم » .

وحين يتحدث عبدالصبور عن الكلاسيكية ، والنيوكلاسيكية (اي الكلاسيكية الجديدة) العربية ، يردف ، فيقول :

« وكنا قبل ذلك كله اسرى للتقليد الشعري العربي الذي يؤثر ان تكون للشعر لغته الخاصة ، المجاوزة للغة الحياة ،والبعيدة عنها بعض الاحيان » .

واذن فانه يرفض الكلاسيكية والكلاسيكية الجديدة ، ويعلن انتماءه للواقعية ، مرورا بعباءة الرومانتيكية ، او جسرها على الاصح .

غير ان الواقعية التي يتحدث عنها عبدالصبور في كتابيه النقديين ليست واقعية طبيعية او فوتوغرافية ، وليست واقعية اشتراكية ، وانما هي الواقعية الانتقادية ، الرحبة ، التي لا تضيق بعالم ايليوت ولغته وقاموسه وانجازاته ، ولا بسان جون بيرس ، ولا بقسطنطين كفافي ، والتي تفيد في ذات الوقت من انجازات بريخت، وبريخت الجديد كما يسميه عبدالصبور ،ويقصد به بيتر فايس صاحب المسرح الوثائقي او التسجيلي ، كما تفيد من افكار ومنجزات لوركا، وسارتر ، وفوكنر ، ولويد ، وتنسي ويليامز وغيرهم من اقطاب‌المدارس الادبية الحديثة في اوروبا والولايات المتحدة .

والحق الذي لا مراء فيه هو ان عبدالصبور ناقدا لا يختلف كثيرا عن عبدالصبور شاعرا .

فان عبدالصبور ناقدا هو الوجه النثري ، الوجه الاخر لعبدالصبور . واذا مثلنا لابداعه بمدالية ، فان نقده هو الوجه الاخر من المدالية ، في مقابل الوجه الشعري .

ذلك ان نقداته لا تعدو ان تكون توضيحات وتعليقات وتفسيرات وتأملات وانطباعات وشروحا مرنة خفيفة الظل لاشعاره الحديثة ، ولتجاربه الشعرية ، التي اغتنت ، في الفترة الاخيرة ، بالمسرح الشعري ، وبالافاق الجديدة التي تفتحت له في طوافه الشعري والفكري ، جغرافيا وذهنيا ، في اوروبا الاشتراكية وغير الاشتراكية وفي الولايات المتحدة واسيا .

يؤمن عبدالصبور بان الثقافة تراث عالمي ينتمي اليه الشاعر الحديث بالضرورة ،فهو يقول :

« ان الثقافة هي تراث حي متصل بين الماضـــي والحاضر ، متجه الى المستقبل » .

وهو يقترب كثيرا من المفهوم الاليوتي للموروث الادبي ، ولكنـه يرفض رجعنين ، ويعلن انتماءه الى التراث التقدمي الانساني العام ، ويوصي بالرؤيـة الشاملة للتراث العربي ، وبالاقدام على قراءتـه قراءة صحيحة ، تاريخية ، مرتبة ، اي انه يعي البعد التاريخـــي للعمليات الادبية ، ويقيس كل شيء بظروفه .

ويقرر عبدالصبور ، بالحرف الواحد ، في ختام كتابه « حياتي في الشعـر » ، ان التراث ليس بالتركة الجامدة ، وانمـا هو حياة متجددة ، فالقصيدة التي لا تستطيع ان تمد عمرها الى المستقبل لا تستحق ان تكـون تراثا . واذن فهـو يؤمن بالبعد المستقبلي للماضي ـ اذا صح التعبير ـ ، وبالعلاقة الجدليـة بين التراث والادب المعاصر.

ويرتبط منهج عبدالصبور النقدي ، اوثق ما يكـون الارتباط ، بمنهج شلي الرومانتيكي ، ولكن بثياب معاصرة .
فهو يؤمن بالشهوة لاصلاح العالم ، التي كانت لازمة شلـــي المشهورة في كل مـا كتـب .

غير ان عبدالصبور ليس بالاخلاقي المحترف ، وليس بالواعظ ، وان تردى ـ احيانا قليلة جدا لحسن الحظ ـ في حمأة النثريـة ، والتفسيرات الساذجة في بعض الاحيان . وهذه السذاجة هي لون من الطيبة القروية التي تعنون لسيكولوجية عبدالصبور ذاته ،ونفرض نفسهـا في شعره ، كمـا تجد صداها في كتاباته النقدية .

وهو يرى ان ابن خلدون مثلا اقرب الى دور كايم وبينبي منه الى ملايين العرب الذيـن لـم يسمعوا باسمه .وبهذا يعلن عبدالصبور ، صراحة ، انتماءه المبرر الى اسرة المثقفين العالميـة ، دون ان ينكـر قوميته ، وانتماءه السياسي التقدمي بشكل عـام ، ودون ان ينسى الجوهر الايديولوجي للابداع الادبي والفني .

ويضيق عبدالصبور بالمعادلات الميكانيكية ، وبالتبسيط ،والتعميم. فهـو يرى معادلة كتلـك المعادلة التي تقول ان التاريخ العربـي عظيم، والادب جزء من التاريخ ، واذن فالادب العربي عظيم ، يراهـا غيـر صائبـــة .

فالادب العربي ينبغي ان يدرس ضمن ظروفه ، وهو ليس في كـل الاحوال ، انعكاسا للتاريخ . وقد يعظم شان الادب في فترات الضعف السياسي ، والعكس بالعكس . ان الشيء الذي يؤكـد عليه عبـــد الصبور هو العالميـة والانسانية وشمولية الرؤية الفنية .

وهذا ما جره الى المسرح الشعري ، ليجد المزيـد من الحريـة في عرض افكاره ، كمـا جره ، بالمقابل ،الـى العالم الصوفـي والمصطلحات الصوفية . ويقع عبدالصبور في بعض تجاربه الشعريـة في هوّة الميتافيزيكية الحديثة ، وان كان يريد تبريرها بالصوفيـة الثوريـة . ان عالم الدرامـا الشعرية لديه يجـد مدخله في القناع، وهو ينتقل من الوضوح المطلق الى الابهام الموحي ، دون ان يتخلص من النثرية . ويربط عبدالصبور الناقـــد ذلك بفهمه للموروث الادبـي بالشكـل الذي عرضنـاه .

كلية الاداب ـ جامعـة بغداد

سعيد رجو

صراع في اروقة الذاكرة

تغشاني غاشية الاحزان الارضية
تزكمني رائحة حنوط الاجداث الحجريه
اشعر اني في جوف بناء أثري :
مجهول الابـواب
يتردد في عتمته الآسنـة
فحيح هوام الصمت المغمورة
بجليد الاحقاب ..
تتثاءب افواه الاشياء الغيبيه
ويفوح هسيس الاموات
من الاشكال العظميه
تغشاني ...
اشعر انـي في فجوة هرم
متخمة برفات الاقنان
يشدهنـي الرعب
تداهمني اسراب الغربان
تتزوبع حولي قهقهة الشيطان
استنفر سحري
انفث تعويذتي الناريـه
تتراقص ألسنة اللهب الهدار
تملي .. ما تمليه عليهـا
كاهنة الاسرار
استغرق باستبطان الوهج الغائر
المح قتلا وسفاحا ودوار
تتراءى لي شاهدة من خلل النار
أتهجى ما خط عليهـا :
ماذا ؟ قبـ .. قبري هذا ؟..
يهزم في داخلـي الاعصار
اتمزق
اصرخ من غيهب هاجسي الفاجع
في وجـه الاقدار
تهتز الاشباح البشريـه
ترتج مداميك الذاكرة الحجريه
وكعاصفة
أركض في الاروقة المأهولة بالاهوال
وادق ادق بأقدامي طبل الارض
لينهض عفريت الزلزال

حلب